University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الثامن والعشرون – 25/ سبتمبر (2017)

الصراع الانجليزي الفرنسي حول مصر في القرن الثامن عشر وموقف السلطات في ولاية طرابلس الغرب منه

د. عثمان محمد داوود.

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الثامن والعشرون – 25/ سبتمبر (2017)

الصراع الانجليزي الفرنسي حول مصر في القرن الثامن عشر وموقف السلطات في ولاية طرابلس الغرب منه

ملخص البحث :

يعد الاقتصاد عصب الحياة في كل مجتمع منذ قديم الزمان وكانت مصر وما تزال محل أطماع دول كثيرة نظراً لموقعها الجغرافي الذي يربط أوربا بآسيا ، وفي القرن الثامن عشر الميلادي تصارعت كل من بريطانيا وفرنسا حول مصر تجارياً وسعت فرنسا للحصول عليها، كما سعت لقطع خطوط المواصلات البريطانية للهند بالسيطرة على مصر فكانت الحملة الفرنسية التي قادها نابليون بونابرت 1789م والتي كان الغرض الأساسي لها هو السيطرة على أهمالطرق التجارية عبر مصر ، لكنها فشلت وهزمت وخرجت من مصر سنة 1801م بسبب ثورة المصريين وعدم قبولهم لمحتل ما كان يريدونه منذ مجيئه إلى بلادهم من ناحية أخرى أبان البحث أصداء هذا الصراع على المنطقة وخاصة على ولاية طرابلس الغرب وكيف تعامل يوسف باشا مع هذا الموضوع.

وقد تناول البحث تلك الأحداث موضحاً أهم النتائج التي توصل إليها.

Abstract

The economy has been the lifeblood of every society since time immemorial, and Egypt is still the destination of many countries due to its geographical location linking Europe with Asia. In the 18th century, Britain and France fought around Egypt commercially and France sought to obtain them. British control of Egypt was the French campaign led by Napoleon Bonaparte in 1789 and the main purpose was to control the most important routes to trade through Egypt, but failed and defeated and left Egypt in 1801 because of the revolution of the Egyptians and not accept the occupier what they wanted since coming to their country. The research dealt with these events and explained the main findings.

المقدمة :

تحتل مصر موقعاً جغرافياً مهماً، يقول الفيلسوف الألماني ليبنز أن"مصر من بين جميع بقاع العالم هي الأفضل موقعاً من أجل السيطرة على الدنيا وعلى التجارة العالمية فهي الجسر الذي يربط أوربا بآسيا ثم أفريقا" ولهذا تكالبت الدول الاستعمارية على احتلالها أو تحييدها أو إقامة علاقات جيدة معها ، وهذا ما حدث في القرن الثامن عشر الميلادي حينما تنافست كل من بريطانيا العظمى آنذاك والتي كانت تحتل الهند ، وفرنسا التي كانت تسعى لقطع مواصلات بريطانيا إلى الهند عن طريق احتلال مصر، فكانت الحملة الفرنسية على مصر سنة 1789م بقيادة الجنرال نابليون بونابرت (1769-1821)م الذي كان يرمي إلى السيطرة على الطريق التجاري عبر مصر معتبراً انه إذا أصبح الفرنسيونسادة البحر الأحمر فإنهم يستطيعون أن يهددوا مصالح البريطانيين ويطردوهم من الهند.

كانت مصر تحت السيادة العثمانية آنذاك ، وسعت فرنسا جاهدة للحصول على امتيازات تجارية كغيرها من الدول الأوربية وقد حصلت عليها فعلاً ،ونظراً لغنى مصر،وتميز موقعها الجغرافي الذي جعل منها مركزاً تجارياً هاماً،وذلك في محاولة من فرنسا للتخلي عن طريق رأس الرجاء الصالح .

فقد وجدت فكرة الحملة الفرنسية على مصر ، والسيطرة على طريق التجارة عبر مصر تأييداً ودعماً من كل المفكرين الفرنسيين الذين زعموا أنهم سيكتشفون معالم الحضارة الفرعونية وتحديث مصر ، ولكنها كانت أكبر أكذوبة لاحتلال مصر والسيطرة على طريق التجارة العالمي وحرمان بريطانيا منه وقطع خطوط مواصلاتها مع الهند .

إن هذا الصراع لابد وأنه تأثيرات قوية على المنطقة وخاصة حوض البحر المتوسط وبطبيعة الحال فغن ولاية طرابلس الغرب هي في مقدمة المناطق التي ستتأثر أو تأثرت بمعنى أصح بهذا الصراع ،ومن هنا يجب تسليط الضوء على تعامل حاكم طرابلس آنئذ يوسف باشا القر مانلي مع هذا الموضوع وهو ما يميز هذه الدراسة حسب اعتقادنا .

ومن هنا تأتي أهمية البحث في أنه يتناول موضوعاً في غاية الأهمية وهو مصر في الصراع التجاري الدولي في القرن الثامن عشر وهي الفترة الذي شهدت استفحال الصراع بين بريطانيا وفرنسا حول السيطرة على اقتصاد العالم وكذلك موقف السلطات الطرابلسية من هذا الصراع وهذا ما يحدث الآن ولكن عبر دول أخرى وبأساليب مختلفة .

والمنهج المتبع في هذا البحث هو السردي الوصفي التاريخي التحليلي، سرد الأحداث ووصفها من خلال ما توفر من مراجع مع التحليل واستخلاص بعض النتائج .

بدايات السيطرة الغربية:

تعد العوامل الدينية من أهم العوامل التي أدت إلى حركة الكشوف الجغرافية التي تعتبر حلقة من سلسلة الحروب الصليبية ،ومن المعروف أن هذه الحروب لم تنته في القرن الرابع عشر ميلادي، وأن النصر الحاسم الذي حققه المسلمون على الصليبيين في مصر لم ينه العداء المرير للإسلام بل نرى هجمة أخرى تشنها الحركة الصليبية تخرج من البرتغال، ولاشك أن التوسع المسيحي في الأندلس في القرن الخامس عشر الميلادي على حساب المسلمين ثم طردهم منها تعتبر حلقة أخرى من سلسلة الحروب الصليبية ضد الإسلام وإن لم تكن آخرها [1].

[1]) سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية، دار النهضة العربية، القاهرة ،1985،ج2، ص ص1258،1257.

فضلاً عن العوامل الاقتصادية التي أدت أيضاً إلى قيام حركة الكشوف الجغرافية، كانت البرتغال سباقة إلى الاتصال بالمدن التجارية الإيطالية (جنوة والبندقية) واستفادت كثيراً من خبراتها في فن الملاحة، فقد تعلم البرتغاليون من سكان هاتين المدينتين كيفية بناء السفن الكبيرة التي تصلح للمحيطات ، والتي تتميز بالمتانة والقوة، وعن هاتين المدينتين عرف البرتغاليون معلومات كثيرة عن الشرق كما عرفوا كل الطرق التجارية المؤدية إلى الشرق، فالعالم الإسلامي بموقعه الفريد أصبح المحتكر الوحيد للتجارة وأدرك البرتغاليون أن التجارة أهم احد أسباب قوة عدوهم، لذلك رأوا ضرورة القضاء على إحتكار المسلمين للتجارة الشرقية ، وخاصة التوابل وذلك لتحقيق هدفهم الرئيسي ألا وهو القضاء على الإسلام والمسلمين، وهكذا سخّر البرتغاليون العامل الاقتصادي أيضاً لتحقيق الغرض الديني[2].

نجحت البرتغال في الوصول إلى طريق رأس الرجاء الصالح سنة 1498م والالتفاف حول أفريقيا بهدف اكتشاف عالم البحار[3] وبالتالي تحويل التجارة إلى الطريق الجديد والقضاء على طريق التجارة القديم عبر البحر المتوسط، وكان أن أدى هذا التحول إلى الدخول في صراع مع دولة المماليك في مصر التي كانت تسيطر على تجارة التوابل وبقية التجارات الأخرى، حتى انتهى الصراع بهزيمة المماليك في موقعه ديو البحرية سنة 1509م[4].

وقد أطلع البرتغاليون على مجهودات العلماء المسلمين في ميدان الملاحة والفلك كما أنهم ورثوا مظاهر الحضارة الإسلامية في الأندلس بعد طرد المسلمين منها، وعنهم عرف الأوربيون البوصلة والأسطرلاب[5].

ووجد البرتغاليون أن مجالهم البحري يتصل كثيراً بأفريقيا وبالمحيط الأطلسي، وكانت المعلومات الجغرافية عنهما شبه مجهولة، وتغلب عليها الخرافات والأساطير، فكان يقال مثلاً ساحل أفريقيا الغربي خال من السكان، وأن الرجل الأبيض عندما يصل إلى منطقة معينة من الشاطئ الأفريقي يتحول إلى اللون الأسود من شدة الحرارة، وأن الملاحة مستحيلة كلما توغل الإنسان في الشاطئ الأفريقي، وأنه لا يمكن الطواف حول افريقيا من ناحية الجنوب نظراً لالتصاقها بالقطب الجنوبي[6].

ودفع هذا البرتغاليون للتحقق من مدى صحة هذه الآراء، وإمكان الالتفاف حول أفريقيا، للوصول إلى الهند بعد أن تأكدوا تماماً من كروية الأرض، إثر تحررهم من النظريات اليونانية القديمة، والفضل في ذلك يرجع لعلماء المسلمين[7].

وبعد هزيمة المماليك وانهيار دولتهم سنة 1517م على يد العثمانيين الذين تزعموا الدفاع عن ديار الإسلام ضد المخططات البرتغالية الحبشية لغزو الأماكن المقدسة في مكة والمدينة المنورة وتدميرها[8] حيث كان المد العثماني في أوربا له أثره على حركة الكشوف الجغرافية، فقد فتحت القسطنطينية على يد السلطان محمد الثاني (الفاتح) (1432-1481م)، سنة 1453م وتردد صدى هذا

---

[2]) نوال حمزة يوسف الصيرفي ، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي، الرياض، 1983م، ص ص75، 76.
[3]) نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، دار الملك عبد العزيز، القاهرة 1973م، ص 122.
[4]) احمد دراج، المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري،دار النهضة العربية ، القاهرة 1961م، ص81.
[5]) زيغريدهونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون وكمال الدسوقي ، دار الفكر ، بيروت، 1964م ص418
[6]) السيد رجب حراز ، عصر النهضة،دار الفكر العربي ، القاهرة، 1974م، ص312.
[7]) أنور عبد العليم، ابن ماجد الملاح،دار المعارف، القاهرة، 1966م، ص30.
[8]) عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1976م، ج1، ص511.

الفتح في أسبانيا المسيحية كما تردد في كل أنحاء أوروبا، وازداد الحقد الصليبي على المسلمين والخوف من مداهمة الإسلام لأوربا[9] وحاولت أوربا القضاء على القوى الإسلامية بكل السبل الممكنة.

قام العثمانيون بجهود كبيرة في مقاومة هذا التوغل الأوربي فقد عمل السلطان العثماني سليم الأول (1470-1520)م ومن بعده ابنه سليمان(القانوني) (1494-1566)معلى تحويل البحر الأحمر إلى بحيرة إسلامية، ومنع السفن المسيحية من الدخول فيه حفاظاً على المقدسات الإسلامية والعربية[10] ولما كان طريق التجارة القديم عبر مصر أقصر كثيراً من طريق رأس الرجاء الصالح، فقد حاولت الدول الأوربية إستمالة السلطان العثماني لتسهيل مرور تجارتها إلى الهند عبر مصر والبحر الأحمر، ونجحت فرنسا سنة 1535م في الحصول على امتياز باحتكار التجارة في المنطقة وحق الرعايا الكاثوليك في أراضي الدول العثمانية[11].

وتجنبت فرنسا بإعتبارها إحدى دول البحر المتوسط المنافسة مع إنجلترا وهولندا حيث كانت تسعى الدولتان للسيطرة على طر يق رأس الرجاء الصالح الذي اكتشفه البرتغاليون، ورأت فرنسا أن إحياء الطريق البري عبر مصر والبحر المتوسط هو أفضل الطرق لتتمكن من خلاله تحقيق منافسة تجارية مع الدول الأخرى، خاصة هولندا وإنجلترا[12].

ساعد الموقع الجغرافي لفرنسا في السيطرة على الطريق البري بينما ساعد موقع كل من إنجلترا وهولندا البحري على التحكم في طريق رأس الرجاء الصالح[13] واستطاعت فرنسا أن تحتل مكانة كبيرة في استانبول منذ القرن السادس عشر الميلادي بعد تحالفها مع السلطات العثمانية وصارت الدول الأوربية الأكثر نفوذاً في البلاط السلطاني العثماني، بل وصاحبة حق الرعايا الكاثوليك داخل الدولة العثمانية، مما أكسبها مميزات عن غيرها من الدول الأوربية[14].

وقد ازدادت أهمية الطريق البحري بعد الثورة الفرنسية التي أحدثت انقلاباً في العلاقات السياسية في أوربا كلها، كما أنها كانت ضربة قاصمة وجهت للنظم الملكية السائدة مما دفع الدول الأوربية للصراع للسيطرة على طرق المواصلات عبر مصر والشرق لضمان الحصول على المواد الخام اللازمة للصناعة، ولتأمين التجارة عبر هذه الطرق ومن هنا جاءت فكرة ضرب إنجلترا في مستعمراتها بالهند، وكان نابليون بونابرت هو صاحب هذه الفكرة حينما أقنع حكومة الإدارة الفرنسية بخطورة القيام بعمل حربي ضد إنجلترا، وأوضح أن غزو مصر لا يقل أهمية وأثراً عن غزو إنجلترا نفسها واستجابت حكومة الإدارة لثقتها في عبقريته العسكرية[15].

من هنا كانت فكرة الحملة الفرنسية على مصر، والتي أصبحت مجرد حلقة في سلسلة الصراع الدولي للسيطرة على طرق المواصلات البرية، ولاحتكار طريق التجارة عبر مصر ومحاولة الحصول على امتيازات من حكام المنطقة للسيطرة على هذا الطريق البري الهام[16].

---

[9]) نوال حمزة يوسف الصيرفي، المرجع السابق ، ص69.
[10]) عبدالعزيزالشناوي، المرجع السابق، ص512.
[11])السيد رجب حراز ، المدخل إلى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال البريطاني 1517-1882، دار الفكر العربي، القاهرة، 1979م،ص71.
[12]) المرجع نفسه، ص78.
[13]) عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي 1516-1992م،منشأة المعارف، الإسكندرية ، 1998م، ص222.
[14]) محمد أنيس ، الدولة العثمانية والشرق العربي 1514-1919م، دار الفكر العربي، القاهرة، 1982م،ص188.
[15]) احمد زكريا الشلق، معالم التاريخ المصري الحديث والمعاصر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 2001م،ص38.
[16]) عمر عبد العزيز، المرجع السابق ص223.

جذور السيطرة الفرنسية علي مصر:

تضررت جمهورية البندقية الإيطالية ودولة المماليك في مصر بتحويل التجارة العالمية بين الشرق والغرب من طريق البحر الأحمر إلى طريق رأس الرجاء الصالح في أواخر القرن الخامس عشر[17]، فضلاً عن أن الصراع الحربي كان عنيفاً بين البندقية والدولة العثمانية مما أجبر الأولى على الاعتراف بالأمر الواقع أي التفوق العثماني في هذا الجزء من البحر المتوسط[18].

وحيث أن مصر كانت وما زالت إحدى ركائز الشرق فقد أقامت بها جالية فرنسية منذ القرن السادس عشر، وسمح العثمانيون لهم ولبعض الدول الأوربية بإنشاء وكالات تجارية، كما حصلت على امتيازات تسمح للسفن الأوربية حق تفريغ ركابها وبضائعها فيها[19].

وكانت فرنسا أولى الدول الأوربية التي حصلت على امتياز من السلطان العثماني، وذلك بمقتضى اتفاق عقد عام 1535م بين ملك فرنسا فرانسوا الأول (1494-1547)م والسلطان العثماني سليمان القانوني(1520-1566)(6)، وقد سمحت هذه المعاهدة لرعايا فرنسا في الدولة العثمانية حق الإقامة في الثغور والمدن لأغراض التجارة، كما ضمت سلامة أرواحهم وممتلكاتهم، وحرية العبادة لهم، وأن يخضعوا في معاملاتهم الشخصية لقضاء القنصل الفرنسي ولا يفرضوا رسوماً جمركية تزيد على 3% من قيمة المتاجرة [20].

وتسابقت الدول الأوربية للحصول هي الأخرى على امتيازات تجارية من السلطان العثماني فحصلت إنجلترا على امتياز عام 1580م، وهذا يدل على أن هذه الدولة تحديدا كانت تحاول الحصول على هذه الامتيازات حتى لا تتعرض تجارتها إلى الخطر، كما يعطي هذا التنافس أهمية كبرى للطرق التجارية عبر مصر، وخاصةً بعد أن حوّل العثمانيون البحر الأحمر إلى بحيرة إسلامية، كما هدفت هذه الامتيازات لتنشيط التجارة بين الدولة العثمانية والدول الأوربية دون أن تعطي للتجار الأجانب أي حق استعلاء على الرعايا المحليين في أي ولاية عثمانية[21].

تنافست إنجلترا وفرنسا حول الطريق البري واحتكار طريق السويس البري ورغم كشف طريق رأس الرجاء الصالح فإن التجارة لم تتحول عن الطريق البري عبر برزخ السويس، وظل الإنجليز والفرنسيون يستخدمون هذا الطريق، فقد كان النشاط التجاري الأوربي يتجدد تبعاً لمصالح الدول الأوربية خاصة بين إنجلترا وفرنسا[22].

والواقع أن فرنسا أولت عناية خاصة بإحياء طريق السويس البري منذ أواخر القرن السادس عشر خاصةً عندما آلت المستعمرات البرتغالية، وأهمها جزر الهند الشرقية إلى إسبانيا وفي هذا الوقت فكر السلطان مراد الثالث (1574-1595م) في توصيل البحر الأحمر بالبحر المتوسط سنة 1586م حتى يستطيع الأسطول العثماني الوصول إلى البحر الأحمر ومطاردة سفن البرتغال والأسبان في مياه المحيط الهندي[23].

---

[17]) أحمد دراج، المرجع السابق، ص ص82-86.
[18]) السيد رجب حراز، المدخل، ص73.
[19]) روبير سوليه، مصر ولع فرنسي، ترجمة: لطيف فرج، مكتبة الأسرة 1999م، ص14.
6)محمد فريد بك المحامي،تاريخ الدولة العلية العثمانية،دار الجيل ،بيروت،1977،ص79.
[20]) عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص228.
[21]) أمين سعيد، تاريخ مصر السياسي (من الحملة الفرنسية سنة 1798م الى انهيار الملكية ،1952م، دار المعارف، القاهرة، 1959م،ص128.
[22]) السيد رجب حراز، النهضة، ص239.
[23]) جلال يحيى، المجمل في تاريخ مصر، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1997م، ص53.

لقد أصبح فتح الطريق البري من قواعد الدبلوماسية الفرنسية في القرن السابع عشر ، ولا سيما في عهد الملك لويس الرابع عشر (1638-1715م) وخلفائه، وسعت فرنسا لدى السلطان العثماني حتى يوافق على فتح الطريق التجاري عبر مصر ، وعندما أُسست شركة الهند الشرقية الفرنسية عام 1664م لم يكن الغرض إحتكار جزء من تجارة إنجلترا فحسب ، بل كان الهدف احتكار نقل التجارة الفرنسية مع جزر الهند الشرقية ومدغشقر المارة بطريق رأس الرجاء الصالح[24].

ورغم نشاط شركة الهند الشرقية فإنها لم تستطع أن تركز اهتمام فرنسا على إحياء الطريق البري ، وكان فقدان الممتلكات الهندية الفرنسية بعد ذلك بمائة عام قد بدد اهتمامات فرنسا بالطريق البري ، وتحول هذا إلى تنافس تجاري وعسكري مع إنجلترا[25].

وقد حاولت فرنسا إحياء الطريق البري، واحتلال مصر ويظهر هذا بشكل جلي من خلال كتب ومذكرات الرحالة والسياسيين والتجار ، الذين كان لجهودهم الأثر الأكبر في لفت أنظار الحكومات الفرنسية لأهمية هذا الطريق البري ، وجاءت الثورة الفرنسية وما تلاها من أحداث لوضع هذه الأفكار موضع التنفيذ من خلال الحملة الفرنسية التي أصبحت إحدى حلقات التنافس الدولي على طرق الموصلات البرية ، بل وفاتحة سياسة استعمارية أوربية ليس على مصر فحسب ، بل على كل المنطقة العربية باعتبارها شريان الحياة في طرق التجارة العالمية[26]وهذا يتضح من خلال :

استمرار اهتمام فرنسا بمصر عندما صدر كتاب في عام 1665م يحمل عنوان (رحلات مسي وديتيفينو في المشرق) والذي اشتمل على وصف مصر بدقة فضلاً عن مدنها الرئيسية ، والآثار الموجودة بها ، وتفاصيل دقيقة عن الحياة اليومية ، والاحتفالات الدينية في مصر .

وظهر اهتمام فرنسا بمصر وآثارها عندما قام الفيلسوف الألماني ليبنز عام 1672م بزيارة إلى باريس ليسلم لويس الرابع عشر مذكرة يقترح فيها بوضوح إرسال جيش لغزو بلاد الفراعنة ويقول" هذا هو أضخم مشروع يمكن تصوره والأكثر سهولة في تنفيذه ،إن مصر من بين جميع بقاع العالم هي الأفضل موقعاً من أجل السيطرة على الدنيا وعلى التجارة ، والحال أنها خالية من أي دفاع ، لا تنتظر سوى وصول جيش تحرير لكي تنهض "[27].

إن هذه العبارات توضح مدى الاهتمام الذي أولته الدول الغربية لأهمية مصر ، ومكانتها في عالم التجارة وذلك في القرن السابع عشر ، ويزداد هذا الاهتمام كلما دخلت أوربا في صراعات وثورات اجتماعية وسياسية .

وكان لبينز يعرف علاقات الدولة العثمانية مع فرنسا ، لكنه أكد أن مصر منذ قديم الزمن هي أرض العلوم ، وعرين المعجزات الطبيعية ، ولذا يجب على المسيحيين عدم فقدان هذه الأرض التي تربط آسيا بأفريقيا خاصة وأنها تتوسط البحرين المتوسط والأحمر ، وتعد مستودعاً لغلال الشرق ، ومخزناً لكنوز أوربا والهند.

ويقول الفيلسوف الألماني"بدلاً من الهجوم على بريطانيا مباشرة ، فإنه من الأفضل هزيمتها عن طريق مصر ، ذلك لأن هذا المشروع سيؤمن امتلاك الهند وتجارة آسيا والسيطرة على الكون"[28] .

---

[24]) عمر عبد العزيز عمر ،المرجع السابق ، ص223.
[25]) روبير سوليه ،المرجع السابق ، ص 16 .
[26]) السيد رجب حراز ،المرجع السابق ، ص 70.
[27]) عمر السكندري وسليم حسن ، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى الوقت الحاضر ، دار النهضة المصرية ،القاهرة ، 1966 م ، ص 17.
[28]) عمر عبد العزيز عمر ،المرجع السابق ، ص 224.

ولم يهتم لويس الرابع عشر بآراء ليبنز ولا حتى باستقباله أو الرد عليه ، بل اكتفى بإخطار أمير المقاطعة الألمانية التي يعيش فيها بأن زمن الحروب الصليبية قد انتهى ، ولم يعد يطابق ذوق العصر ، وفضل الملك شن الحرب في أوربا[29].

وعندما جاء لويس الخامس عشر (1710-1774م) تحسنت العلاقات بين فرنسا والدولة العثمانية، ولم يحدث أي تطور في مشروع غزو مصر ، وحاول لويس الخامس عشر في عام 1741م تجديد معاهدة الامتيازات التي سبق أن وقعت في عام 1535 م مع العثمانيين ، والتي أعطت فرنسا حق حماية المسيحيين في سائر أرجاء الدولة العثمانية ، لكن هذا أثار إنجلترا التي ظلت تخشى ازدياد النفوذ الفرنسي في الدولة العثمانية مما يهدد طريقها الملاحي عن طريق البحر الأحمر مثلما يهدد مصالحها في الهند[30].

استمرت الأمور كما هي إلى أن جاء لويس السادس عشر (1754-1793م) فتكررت النداءات لاحتلال مصر، في الوقت الذي ازداد ضعف الدولة العثمانية بسبب حربها مع وروسيا[31].

وفي عام 1776م قام البارون (دي توت) بإعداد مذكرة أكد فيها أن مصر مليئة بالثروات ويمكن غزوها بسهولة ،وإذا لم تستول عليها فرنسا فإن إنجلترا سوف تفعل ذلك [32].

أخذت وزارة الحربية الموضوع جدياً، وأرسل البارون دي توت إلى مصر ،ثم عاد إلى باريس أكثر اقتناعاً بفكرة مشروعه ، لكن انشغال فرنسا في حروب مع إنجلترا جعل من الصعب التخلي عن أي جزء من الجيش في هذه الفترة، وتأجلت فكرة احتلال مصر .

كان أيضاً لكتاب الرحالة فولني "الرحلة في مصر وسوريا" دوراً في وصف حالة مصر السيئة، وحاول أن يصف العلاج لهذه الحالة بخروج المصريين من تحت السيادة العثمانية ودخولهم تحت لواء دولة أخرى تكون صديقة للمصريين وذات حضارة ،ونهضة أدبية وعلمية وفنية ، حتى تتمكن هذه الدولة من إحياء التراث المصري القديم ، والتنقيب عن الآثار المغمورة في الدلتا والصعيد ، وكشف رموز اللغة والكتابة الهيروغليفية[33] .

وهكذا كانت الصورة التي رسمت عن بلاد يطحنها البؤس والأمراض والفوضى ، ومع ذلك لم يتجاهلوا التجارة والمكوس والضرائب ، كما تم الحديث عن تحصينات ميناء الإسكندرية، وتأكيداً لهذه الرغبة في احتلال مصر تم الحديث عن خصوبة أرض مصر ووفرة غلاتها وسهولة غزوها والاستيلاء عليها [34].

وفي الكتاب الذي حمل اسم " خطابات عن مصر " تمت الدعوة إلى غزو مصر لأنها ستكون مركز التجارة في العالم ، والجسر الذي يربط أوربا وآسيا[35].

ومجمل القول أن كتابات الرحالة كانت مقدمة أساسية لغزو مصر ، حيث بلغ الضيق بالتجار الفرنسيين حداً جعلهم يطالبون بإرسال قوات عسكرية لتأديب المماليك وتأمين مصالحهم [36].

---

[29]) المرجع نفسه، ص 225.
[30]) فاروق عثمان اباظة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر1839-1910م،منشأة مكتبة المعارف، الإسكندرية، 1981م ،ص73.
[31]) روبير سوليه ،المرجع السابق ، ص 24.
[32]) جلال يحيى ،المرجع السابق ، ص153.
[33]) السيد رجب حراز ،المدخل، ص100
[34]) حلمي محروس إسماعيل،الحملة الفرنسية على مصر ، دار الفكر العربي، القاهرة ، 1955م، ص96.
[35]) المرجع نفسه، ص 96.
[36]) السيد رجب حراز،المرجع السابق ، ص77.

ورغم المزايا فقد أشاروا الرحالة إلى أن احتلال مصر سوف يجعل فرنسا تدخل في حروب مع الدولة العثمانية والإنجليز والمصريين ، ولن تنجح فرنسا في احتلال مصر نظراً لاختلاف الدين والعادات والتقاليد ، وطالبوا فرنسا بأن تركز على تحسين الإنتاج داخل بلادها وتبتعد عن الاستعمار في هذه الفترة .

استولى علي بك الكبير (1728-1773م) على السلطة في مصر عام 1768موقام بالقبض على التجار الفرنسيين ، وانسحبت القنصلية الفرنسية من القاهرة إلى الإسكندرية ومعها غالبية التجار ، وقرر بعضهم البقاء في مصر على مسؤولياتهم ، ومن هؤلاء التاجر تشارل ماجالون الذي كان يقوم بعمل القنصل ، وقد لعبت هذه الشخصية دوراً حاسماً فيما بعد خاصةً بعد قيام الثورة الفرنسية ، وإضعاف الجالية الفرنسية ، وقيام المماليك بابتزازهم ، وكان الفرنسيون يشترون الأسلحة ويتدربون على استخدامها ساعتين يومياً[37].

نجح ماجالون في عقد ثلاث معاهدات مع مصر في يناير 1785 م، الأولى مع (مراد بك) الذي تعهد بحماية التجارة الفرنسية عند مرورها في مصر ، وحدد الضريبة على متاجر الهند بمقدار 2% للوالي على مصر و 4% للبيك الحاكم و 3% إذا كانت التجارة مصدرة إلى فرنسا ،أما المعاهدة الثانية فقد وقعها مع ملتزم الجمارك العام وفيها تعهد بعدم زيادة الرسوم على المتاجر الفرنسية وتحصيل 5% من قيمة المتاجر المفرغة في السويس ، وكانت المعاهدة الثالثة مع أحد شيوخ الأعراب (العربان) وفيها تعهد بنقل المتاجر الفرنسية بأمان في طريق الصحراء بين السويس والقاهرة مقابل مبلغ معين عن كل جمل [38].

لكن هذه المعاهدات لم تكن ذات قيمة تذكر، لأنها لم تحدث أي تغيير في موقف فرنسا تجاه مصر ، ولم يتحسن المركز التجاري ، وهذا ما جعل الجالية الفرنسية تتخذ خطوة أكثر إيجابية تجاه مصر والطريق البري .

وفي عام 1790 م أرسلت الجالية الفرنسية التماساً إلى الجمعية التأسيسية والغرفة التجارية بمرسيليا ، تطلب فيه فرض حصار بحري على مصر ، مما يتيح لفرنسا الاستيلاء على الطريق إلى الهند ، وهكذا تحول التجار إلى خبراء في الخطط الحربية الإستراتيجية، كما قاموا بتحديد عدد القطع البحرية اللازمة لتنفيذ هذا العمل ، لكن لم يصل أي رد لأعضاء هذه الجالية[39].

وفي عام 1793م تقدم أعضاء الجالية الفرنسية بالتماس آخر ، ولم يكن المطلوب هذه المرة مجرد حصار بل الاحتلال الصريح الواضح ، لكن الحكومة الفرنسية لم ترد على هذا الالتماس أيضاً، ونشط ماجالون وكتب إلى سفير فرنسا في القسطنطينية يقول " أرجوك أيها المواطن ألا تتقاعس عن المعاونة في إعطاء مصر لفرنسا ، فهذه هي أجمل الهدايا التي يمكنك منحها لها ، وسيجد الشعب الفرنسي في هذا الكسب موارد هائلة"[40].

---

[37]) فاروق أباظة ، المرجع السابق ، ص 78.
[38]) عمر عبد العزيز عمر ،المرجع السابق ، ص230 ، عبد الرحيم عبد الرحمن ، النشاط التجاري في البحر الأحمر في العصر العثماني 1517-1798 ضمن كتاب البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، ص 254
[39]) حلمي محروس إسماعيل،المرجع السابق ، ص100.
[40]) روبين سوليه ،المرجع السابق ، ص30.

وأوضح ماجالون أهمية الطريق التجاري عبر مصر ، وقال أنه إذا أصبح الفرنسيون سادة البحر الأحمر فإنهم يستطيعون أن يهددوا مصالح البريطانيين ، وأن يطردوهم من الهند ، وهكذا خرجت نوايا فرنسا تجاه مصر من حيز التفكير إلى حيز التصريح [41].

لقد وجد ماجالون من يستمع إليه أخيراً ، وذلك عندما أصبح(تاليران) وزيراً للعلاقات الخارجية، وطلبت منه الحكومة كتابة مذكرة توضيحية عن أوضاع الطريق التجاري عبر مصر قام (تاليران) بإعداد المذكرة التي اقتبس فيها كثيراً من آراء ماجالون، وقدمها إلى حكومة الإدارة في 14 فبراير 1798م، وكان هذا التقرير دعوة إلى احتلال مصر، وأثار تاليران في تقريره إلى أن مصر بلاد غنية، كما أن موقعها الجغرافي يجعل منها المركز التجاري الطبيعي للعالم ، فإذا ما قامت فرنسا بتحقيق الاستقرار والأمن بها تتمكن الملاحة المتجهة إلى الهند من التخلي عن طريق رأس الرجاء الصالح [42].

أوضح (تاليران) أن فرنسا سوف تفقد أجلاً أو عاجلاً مستعمراتها في أمريكا وإنه لا يوجد أفضل من مصر ، بلاد يسهل أخذها، ولن تتدخل الدولة العثمانية في حرب للدفاع عنها، لأنها ستنهار بعد مدة لا تزيد عن خمسة عشر عاماً، وبالتالي فإنّ على الجمهورية الفرنسية أن تأخذ منها ما يناسبها ، وهو يقصد بذلك أن تكون مصر في أولى الأولويات من هذه الأنقاض، وأقر هذا الغزو (هنري لويس) الذي أكد أن الغزو واجب تحتمه الثورة الفرنسية ، نصيرة حقوق الإنسان ، والتي تسعى إلى نقل الحضارة إلى منابعها الأولى في مصر[43].

وتحمس الجنرال نابليون لمشروع غزو مصر، ولم يلبث أن صار هذا المشروع حديث رجال الإدارة والسياسة و الصحافة ، كما حاز على تأييد الأوساط الشعبية الفرنسية ، ومن ثم دخل المشروع دور التنفيذ.

في 12 ابريل 1798 م أصدرت حكومة الإدارة قراراً بتشكيل جيش الشرق - تحت قيادة نابليون بونابرت لغزو مصر ، وأوضحت حكومة الإدارة الأسباب التي دفعتها إلى إرسال حملة على مصر لمعاقبة بكوات المماليك أصحاب السلطة في مصر ، كما أشار إلى الاحتلال البريطاني لرأس الرجاء الصالح والذي يعرقل وصول الفرنسيين إلى الهند[44].

وهكذا اتضحت سياسة فرنسا من خلال الرحالة والمفكرين خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر،والتي كانت تهدف إلى تحويل تجارة فرنسا الشرقية إلى الطريق البري عبر مصر ، وذلك لمنافسة التجارة التي تمر بطريق رأس الرجاء الصالح ، وقد اتضح أيضاً أن الحكومة الفرنسية لم تفكر أساساً في تشجيع التجارة مثلما فكرت في القضاء على نفوذ كل من هولندا وإنجلترا[45].

وباختصار فإن فكرة الحملة الفرنسية على مصر ،تمثلت في السيطرة على طريق التجارة عبر مصر،وقد وجدت تأييداً ودعماً من كل المفكرين عبر سنوات طويلة ، وكلما اشتد الصراع بين فرنسا والدول الأخرى كلما ازداد الاهتمام بالفكرة، وكانت الثورة الفرنسية وما تلاها من أحداث هي التي أحييت الفكرة وأعادتها إلى الأذهان ، وكانت محاولات إنجلترا للسيطرة على هذا الطريق هي التي حفزت على القيام بالحملة [46].

---

[41]) فاروق أباظة ،المرجع السابق ، ص79.
[42]) جلال يحيى ،المرجع السابق ، ص54.
[43]) عبد الرحيم عبد الرحمن، المرجع السابق ، 203.
[44]) حلمي محروس إسماعيل،المرجع السابق ، ص100.
[45]) عمر عبد العزيز عمر ،المرجع السابق ، ص222.
[46]) عمر عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص55.

سعي بريطانيا للسيطرة على مصر:

وصل التجار البريطانيين إلى مصر متأخرين عن التجار الفرنسيين ، وذلك لأن بريطانيا لم تدخل ميدان البحر إلا في فترة متأخرة ولأن التجار لم يكن لهم اهتمام بالتجارة الأوربية قبل القرن السادس عشر ولكن حدث بعد اتحاد إنجلترا سياسياً إثر حرب الوردتين (1455-1485)أن أخذت تتطلع إلى الطرق البحرية لزيادة مواردها.

بداية القرن السادس عشر بدأت السفن الإنجليزية تتاجر على الساحل الأوربي بل وفي مدخل البحر المتوسط ، مما تسبب في إزعاج السفن الإسبانية والفرنسية ، لكن بريطانيا أنشأت شركة الهند الشرقية الإنجليزية في 31 ديسمبر 1600م لاحتكار التجارة الشرقية.

في القرن السادس عشر تكونت أيضا شركة الليفانت، وأدى قيامها إلى بداية علاقات دبلوماسية تجارية مع الدولة العثمانية ، وقد حاولت الحكومة الفرنسية عرقلة نشاط هذه الشركة الإنجليزية ، ونجحت في ذلك إلى حد ما ، لكن السلطان العثماني اعترف في عام 1583 بالسيد (وليم هاربون) سفيراً لبريطانيا في الأستانة، وتعد هذه الخطوة بداية مرحلة جديدة من العلاقات البريطانية مع الشرق الأدنى[47]، وهو الأمر الذي ظهر في الاهتمام البريطاني بتعيين قنصل لها في مصر عام 1583م، كما أرسلت إنجلترا سفينة محملة بالقصدير والرصاص إلى الإسكندرية .

وفي عام 1587 م ظهرت السفن البريطانية في الإسكندرية، وبدأ التجار الإنجليز يمارسون نشاطهم في مصر رغم فرض رسوم وصلت إلى 10% على تجارتهم ، وهي بالطبع نسبة أعلى من النسبة التي تدفعها فرنسا ، على أن الأصواف الإنجليزية لم تجد الرواج المطلوب في مصر ، في حين أخذ التجار الفرنسيون ينظرون بعين الشك والريبة إلى التجار الإنجليز، وأخذوا يختلقون لهم الدسائس والمكائد عند السلطات المصرية ، وهكذا اضطر التجار الإنجليز إلى مغادرة مصر ، كما أغفلت شركة الليفانت الإنجليزية في عام 1601م وعهدت برعاية مصالحها إلى القنصل الفرنسي[48].

عادت شركة الليفانت تمارس نشاطها من جديد عام 1667م، وعينت قنصلاً للإشراف على مصالحها في مصر ،ولكنه وجد معارضة من القنصل الفرنسي في الأستانة، رغم صدور قرار من السلطان في عام 1698 م بالاعتراف رسمياً بالقنصل الإنجليزي في القاهرة، وإن هذا يدل على العداء الدفين الذي كان يكنه القنصل الفرنسي سواء في مصر أو الأستانة لأي النشاط القنصلي الإنجليزي ، وحتى لا تجد فرنسا من ينافسها على طرق المواصلات التي وضعتها في حساباتها منذ القرن السادس عشر ، ويفسر هذا الموقف بدايات الصراع والتنافس على الطرق البرية عبر مصر والبحر الأحمر.[49]

وفي حرب الوراثة الإسبانية (1701-1714م) حاولت إنجلترا الاستفادة من هذه الحرب بتدعيم نشاطها التجاري ، لكن لم يؤثر ذلك على ما حققته فرنسا من مكاسب تجارية وظلت التجارة الإنجليزية ضئيلة وأخذت تتناقص تدريجياً حتى إنه في عام 1765 م لم يكن في مصر سوى تاجر إنجليزي واحد[50].

وحرب السنوات السبع (1756-1763م) تركت بين إنجلترا وفرنسا آثار على التجارة الإنجليزية التي أخذت في الاضمحلال ، ولكن بعد توقيع معاهدة باريس 1763 م تغير الموقف وأصبحت هذه نقطة تحول في نظر إنجلترا إلى الطريق البري عبر مصر ، لأن هذه المعاهدة أطلقت يد

---

[47]) السيد رجب حراز ،المدخل، ص80.
[48]) جلال يحي، المرجع السابق، ص 155.
[49]) فاروق عثمان أباضة، المرجع السابق، ص 74.
[50]) عمر عبدالعزيز، المرجع السابق، ص 219.

الإنجليز في الهند ، حيث اقتصر اهتمام الحكومة البريطانية على أصلح الطرق وأقصرها لنقل الرسائل والتعليمات والجنود بين الهند وإنجلترا وكانت الرسائل تصل في خلال ثلاث وستين يوماً أي حوالي ربع المدة للرحلة عن طريق رأس الرجاء الصالح [51].

وفي الربع الأخير من القرن الثامن عشر تجدد اهتمام الإنجليز بمصر وبطريق السويس البري وذلك نتيجة:-أهمية موقع مصر الجغرافيورغبة بعض التجار الإنجليز فتح طريق مباشر بين الهند والسويس ، وتشجيع علي بك لفتح هذا الطريق ، وإرسال خطاب إلى حاكم البنغال في مارس 1775 م لعقد اتفاقية للتجارة والملاحة مع حكام المماليك [52].

لم تكن إنجلترا تهتم بالناحية التجارية فحسب ، وإنما كان هدفها الوصول إلى المستعمرات ، وكان التجار الإنجليز مجرد مغامرين ، وقد ظهرت مجموعة من الرحالة والتجار الذين حاولوا تحقيق مكاسب تجارية لإنجلترا، ومن هؤلاء الرحالة البريطاني (جيمس بروس) الذي كان يعمل في قنصلية إنجلترا في الجزائر ، وحضر إلى القاهرة في يونيه 1768م ولم يجد بها أحداً ، وقابل علي بك وعقد معه معاهدة 1773 م أعطت للسفن البريطانية حق الدخول شمالاً حتى مرفأ السويس ، وبذلك أصبح العلم البريطاني يرفرف علي البحر الأحمر بعد أن كان بحيرة إسلامية مغلقة في وجه السفن الأجنبية[53].

وبعد رحيل (على بك) نجح (الإنجليز) في عقد في فبراير 1775م، هذا الاتفاق سمح للسفن الإنجليزية بالقدوم إلى السويس، وعدم التعرض للتجار الإنجليز بالأذى، هذا فضلاً عن تحديد الرسوم الجمركية بحيث لا تزيد عن 8%على التجارة الواردة إلى السويس، مع فرض خمسين ريالا إسبانيا كرسم ميناء لكل سفينة[54].

ولما ازداد نشاط التجار الإنجليز في السويس، تقدم السلطان العثماني في عام 1775م بطلب إلى حكومة لندن يطلب فيه منع السفن الإنجليزية من الوصول إلى السويس أو القيام بأي نشاط تجاري هناك، ووافقت حكومة لندن على هذا الطلب بشرط أن تطبق نفس الشروط على سفن الدول الأخرى، ولكن رغم صدور قرارات الحكومة البريطانية فقد ظلت السفن الإنجليزية تصل إلى السويس حتى اضطرت الحكومة البريطانية إلى وقف الإتجار فيما وراء جدة، وهكذا أدى التعرض للسفن الإنجليزية إلى فشل المعاهدات مع المماليك[55].

أصبحت مصر حلقة في الصراع الإنجليزي الفرنسي خاصة حول الهند بعد أن عاد النشاط الإنجليزي لمصر بعد عام 1895م، فضلاً عن أن مصر أصبحت تتأثر بالأحداث الأوربية الدولية وحدث تحول في سياستها الخارجية مع الدول الأوربية فتحولت من الجمود إلى الحركة ولهذا استدعت مصر تاجراً بريطانياً اسمه (جورج بولدوين) وطلبت منه أن يكتب تقريراً عن نشاط فرنسا التجاري والسياسي داخل مصر[56].

وفي تقريره الذي نشره في كتاب بعد ذلك اسمه(مذكرات سياسية بخصوص مصر) وجه بولدوين أنظار البريطانيين إلى أهمية موقع مصر الجغرافي ،وحاصلاتها التجارية ، وأهميتها بالنسبة للعالم كله خاصة فرنسا ، وما يمكن أن يؤدي إليه احتلال فرنسا لها ، وتنبهت إنجلترا إلى النشاط

---

[51]) عمر عبد العزيز عمر ،المرجع لسابق ، ص226.
[52]) المرجع السابق ، ص 227.
[53]) فاروق اباظة ،المرجع السابق ، ص57.
[54]) السيد رجب حراز ،النهضة، ص84.
[55]) عبد الرحيم عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص196.
[56]) السيد رجب حراز،النهضة ، ص 89.

الفرنسي في مصر ، وعقدت فعلاً معاهدات مع شركة الهند الشرقية وقررت أن تستعين بالتاجر (جورج بولدوين) فعينته قنصلاً لها في مصر ، وكانت مهمته الأساسية التفاوض مع المماليك لعقد معاهدة تجارية ، وبالطبع كان عليه أن يرسل تقارير عن النشاط التجاري الفرنسي في مصر إلى بريطانيا [57].

وصل بولدين إلى مصر سنة 1768 م في ظل ظروف سياسية مرتبكة فقد اشتد الصراع بين المماليك ، وحاول عقد معاهدة مع الوالي العثماني ولكنه فشل بسبب عودته إلى الأستانة بسبب الحرب الروسية العثمانية ، ولكنه نجح في عقد معاهدة مع (مراد بك) 1794م وأرسلها إلى لندن ولكن الحكومة البريطانية لم تهتم بها بسبب خوفها من تحول التجارة الفرنسية إلى البحر الأحمر ومصر بعد حرب السنوات السبع ، فضلاً عن انشغال بريطانيا وفرنسا في حروب بعد عام 1793م ، وخوفاً من سيطرة فرنسا على الطريق البحري حول القارة الأفريقية كما أن الصراع المملوكي بين (مراد بك) و(إبراهيم بك) كان له أثره على الطرق التجارية [58] وبلغ خوف بريطانيا أنها أغلقت القنصلية البريطانية في مصر وأقالت (بولدوين) الذي ظل في مصر ولم يغادرها إلا قبل وصول الحملة الفرنسية إلى مصر بشهور قليلة في ابريل 1798م[59].

واستمر (بلدوين) يحذر بريطانيا من مخططات فرنسا في مصر ، لكن دون جدوى وعاد إلى مصر سنة 1801م ليكون ضمن الحملة الإنجليزية التي جاءت إلى مصر لإخراج الفرنسيين منها[60].

وكان لابد أن تدفع إنجلترا ثمن عدم سماعها نداء رجال التجارة والقناصل البريطانيين في مصر ، وفوجئت بالحملة الفرنسية عليها ، والتي تمثل دوراً جديداً من أدوار السباق بين إنجلترا وفرنسا حول الاستعمار منذ القرن السابع عشر ، وحتى الثامن عشر ، وخاصة أن الدولتين دخلتا في حرب سجال بعد أن صارت إنجلترا عقبة أمام توسعات فرنسا ، من ثم فكرت فرنسا في ميدان آخر يمكن أن تهزم فيه بريطانيا ، وكان هذا الميدان هو مستعمراتها في الهند بالاستيلاء على مصر ، فكانت الحملة الفرنسية على مصر والتي تعد فصلاً من فصول الصراع الأنجلو فرنسي على مصر[61].

صدرت التعليمات إلى الجنرال (نابليون بونابرت) بتجهيز الحملة وقيادتها والتي قررت في أبريل 1798م غزو مصر وتعللت بسوء معاملة التجار الفرنسيين، والاحتلال البريطاني لرأس الرجاء الصالح ، وعرقلة وصول الفرنسيين إلى الهند ، كما طلبت حكومة الإدارة البريطانية ضرورة فتح طريق تجاري آخر إلى الهند للقضاء على سيطرة بريطانيا حول الطرق التجارية .

وكلفت (نابليون) بمهام منها الاستيلاء على مالطا ومصر وطرد الإنجليز من مؤسساتهم في الشرق [62].

هذه هي الدوافع الحقيقة التي أدت إلى الحملة الفرنسية على مصر، أي أن الحملة الفرنسية دخلت في إطار الصراع الإنجليزي الفرنسي ورغبة فرنسا في السيطرة على مصر . ومن الواضح أن الحملة الفرنسية نقطة تحول خطيرة في حياة مصر و الشرق العربي كله ، حيث أظهرت بشكل قاطع

---

[57] عمر عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 288.
[58] السيد رجب حراز ، المدخل ، ص 92.
[59] محمد انيس ، المرجع السابق ، ص19
[60] عمر عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص231، عبد العظيم رمضان ، تاريخ أوربا والعالم في العصر الحديث ، القاهرة ، 1986م ،الجزء الأول ، ص415.
[61] محمد فؤاد شكري ، الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر ، دار المعارف ، القاهرة ، 1981م، ص ص20 -50.
[62] شوقي الجمل و عبد الله عبد الرازق ، تاريخ اوربا الحديث والمعاصر ، دار الفكر العربي ،القاهرة، 1991م ، ص116.

الأهمية الإستراتيجية لهذه البلاد المطلة على البحر المتوسط و الواقعة على الطريق الهام المؤدي إلى الهند [63] .

اشتداد الصراع بين فرنسا وإنجلترا:

بدأت الحملة الفرنسية من يوم 19 مايو 1798م،ووصلت إلى جزيرة مالطا وقامت باحتلالها، في حين كان الأسطول الإنجليزي يراقبها في البحر المتوسط ، ويرغب في تحطيمها ، وبينما الحملة الفرنسية مشغولة في مالطا، وصل الأسطول الإنجليزي إلى الإسكندرية ليبدأ مرحلة من الصراع حول الحصول على مصر.

وصل نابليون بونابرت إلى الإسكندرية وأنزل جنوده ومعداته ، وكان الأسطول الإنجليزي جاهزاً لملاقاته ، ووقعت معركة أبي قير البحرية في أغسطس 1798م ، وقتل أمير البحر الفرنسي وانفجرت بارجته وقضى الأسطول الإنجليزي على الأسطول الفرنسي الذي انسحب بسرعة إلى جنوب مالطا وغنم الإنجليز ست سفن فرنسية ، مما أدىإلى القضاء على وسائل اتصال الحملة الفرنسية وانخفضت الروح المعنوية لدى الفرنسيين وخضعت مصر للحصار البحري [64].

عملت إنجلترا عن طريق حكومتها في بومباي بعد وصول الحملة إلى مصر نشاط واسع النطاق للسيطرة على المراكز الإستراتيجية في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر لمنع أي محاولة فرنسية للوصول إلى الهند من جهة ولحماية جهودها الرامية إلى تنشيط التجارة المتبادلة مع سواحل البحر الأحمر والسواحل اليمنية على وجه الخصوص، ولهذا تحركت قوة من انجلترا إلى الهند واتجهت نحو المدخل الجنوبي للبحر الأحمر واحتلت جزيرة ميون وذلك في اليوم الثالث من مايو 1798م وظلت في الميناء حتى أوائل سبتمبر من نفس العام للقيام بالمهمة التي رسمتها بريطانيا[65].

تشجعت الدولة العثمانية والشعب المصري للتصدي للحملة الفرنسية عندما تحطم الأسطول الفرنسي في (أبو قير)، رغم المبادئ التي أعلنها نابليون وانه جاء لتأديب المماليك وثار المصريون ثورتهم الأولى1798مرغم مجهودات الفرنسيين في التقرب منهم وتحركت ثورة المصريين بشكل تلقائي وبدون تنظيم، لكنهم بسرعة تجمعوا أمام الأزهر، حيث بدأ الصدام مع القوات الفرنسية حيث كان شيوخ الأزهر هم زعماء الرأي العام في مصر آنذاك[66].

انتشرت الثورة وامتدت إلى الأقاليم وفي الإسكندرية ورشيد والبحيرة،وسالت الدماء وكانت المقاومة التي لقيتها الحملة الفرنسية في الصعيد لا تقل في ضراوتها عن تلك المقاومة التي واجهتها في الدلتا، وكان أن نجح الثوار نتيجة انهيار الروح المعنوية للفرنسيين ، بعد أن حطم الإنجليز أسطولهم في مياه (أبي قير)في إعطاء الفرنسيين درساً قاسياً [67].

أنهزم نابليون نتيجة للمقاومة المصرية في الصعيد والدلتا ،والتي هددت أمن القوات الفرنسية هذا وفي الوقت الذي نزلت قوات عثمانية في منطقة أبي قير في شهر يونيه 1799م واحتلت قلعة أبي قير لاتخاذها قاعدة لهم ضد الفرنسيين ، لكن نابليون هاجم هذه القوة وهزمها ، مما زاد شعور المصريين بالعداء ، ولم يلبث أن اضطر نابليون إلى العودة إلى أوربا بسبب الاضطرابات هناك وهزيمة

---

[63]) شوقي الجمل ، تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها ، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة ، 1980 م، ص162.
[64]) شوقي الجمل، تاريخ كشف افريقيا، ص 161.
[65]) المرجع نفسه، ص 168.
[66]) عبدالرحمن عبدالرحيم، المرجع السابق، ص 71.
[67]) فاروق أباضة، المرجع السابق، ص 311.

الجيوش الفرنسية في كل من ايطاليا والنمسا ، وقد ترك نابليون مصر يوم 22 أغسطس 1799م ومعه عدد من كبار الضباط مخيباً آمال فرنسا في احتلال مصر التي استعصت عليه [68].

ودون الدخول في تفاصيل الاوضاع الداخلية في مصر بعد احتلال الفرنسيين لها إلا أن الأمر في النهاية أدى إلى رجوع نابليون بونابرت إلى فرنسا وإستلم الجنرال كليبر مكانه إلى أن قتل في14 يونيو 1800[69].

أستلم الجنرال مينو (1750-1810م) قيادة الحملة الفرنسية في مصر ، ولكنه لم يكن ذا كفاءة عسكرية كبيرة ، وبالتالي فإنه رتب الأمور على أساس إبقاء الاحتلال الفرنسي في مصر ،وقيام مشروعات اقتصادية من موارد مصر ،لكن الوقت كان ضيقاً إذ جاءت قوات عثمانية وبريطانية إلى مصر لمحاربة الفرنسيين وإخراجهم بقوة السلاح من مصر ، وتحت ضغط الإنجليز اضطر مينو إلى قبول الرحيل عن مصر بعد أن بدأت القوات العثمانية والإنجليزية في الزحف جنوباً نحو القاهرة التي احتلها العثمانيون والإنجليز .

بدأت بين فرنسا وإنجلترا والدولة العثمانية مفاوضات حول جلاء الفرنسيين عن مصر تم الاتفاق فيها على جلاء القوات الفرنسية عن مصر على أساس انسحاب القوات في مدة لا تتجاوز خمسين يوماً على نفقة الحلفاء ، وتم توقيع الاتفاق في 27 يونيو 1801م، وخرجت الحملة بعد ثلاث سنوات ، وكان خروجها من مصر بفضل الجهود التي بذلتها إنجلترا في محاولاتها للحفاظ على سيطرتها على مصر، وبالتالي فإن الحملة الفرنسية لفتت أنظار العالم إلى أهمية موقع مصر الجغرافي ، واشتد الصراع الدولي عليها، خاصة بعد رحيل الحملة ، ولم يكن الإنجليز يهتمون بجلاء الفرنسيين عن مصر قدر اهتمامهم بمنعهم من تهديد المصالح البريطانية في الشرق وكان أن فرضت إنجلترا حصاراً على سواحل مصر ظناً منها أنها صاحبة السيادة على مصر[70].

كانت الصراعات بين أمراء المماليك وولاة الدولة العثمانية قد زاد وشاركهم المصريون في ذلك ،وكانت الحملة قد لفتت الأنظار إلى أهمية مصر في المجالات الإستراتجية والاقتصادية والسياسية والعسكرية، فظهرت على أنها مركز هام ، ونقطة اتصال بين البحر المتوسط والبحر الأحمر ، وطريق رئيسي يصل أوربا بالشرق الأقصى ، هذا إلى أن ظهرت كسوق توزيع له قيمته بالنسبة لتصريف المنتجات الأوربية ، ومنطقة إنتاج مواد خام تحتاج إليها الصناعات الأوربية ، وبعد رحيل الحملة أخذت كلاً من الدولتين إنجلترا وفرنسا في التفكير في العودة إلى مصر ،ورغم جلاء الفرنسيين عن مصر عام 1801م فقد ظلت رغبتهم في العودة إليها والتحكم فيها شديدة.[71]

حاولت كل من إنجلترا وفرنسا البحث عن حليف قوى يضمن لها العودة ،فتحالف الإنجليز مع زعيم المماليك ،وأوجد الفرنسيون تحالفات أيضاً وأرسلت إنجلترا حملة فريزر عام 1807م لمساعدة المماليك ،ومنيت الحملة الإنجليزية بالفشل نتيجة المقاومة الشعبية المصرية في رشيد مما أجبرها على الرحيل ، ورغم هزيمة حملة فريزر فإن بريطانيا كان لها السيادة البحرية في البحر المتوسط حيث احتل الإنجليز جبل طارق عام 1704م واحتلوا جزيرة مالطا عام 1807م وضموها إلى مستعمراتهم أثناء

---

[68]) جلال يحيى ،المرجع السابق، ص171،عبد العظيم رمضان ، الغزوة الاستعمارية للعالم العربي وحركات المقاومة ، القاهرة ، 1981م، ص 69.

[69]) السيد رجب حراز ، النهضة ، ص146، شوقي الجمل وعبد الله عبد الرازق ، تاريخ مصر الحديث والمعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة ، 1995 ،ص 101.

[70]) احمد ذكريا الشلق ، المرجع السابق ، ص41، صلاح احمد هريدي ، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، 1517-1882م، دار عين القاهرة ، 2003م، ص336.

[71]) حسن صبحي، التنافس الاستعماري الأوربي في المغرب، دار الفكر، بيروت، 1988م،ص131، عبد الرحيم عبد الرحمن، المرجع السابق ، ص 199.

انعقاد مؤتمر فينا عام 1815 م [72].مما أثبت فشل بريطانيا في ضم مصر ولكنها لم تسكت عن ذلك فقد واصل محمد علي سياسته الرامية إلى التحالف مع فرنسا ، وهو ما أزعج إنجلترا التي وقفت له بالمرصاد في كل توسعاته، سواء في الجزيرة العربية ،أو في الشام و الخليج العربي ، ولما أحست بخطورة تحركاته على مصالحها وطرقها التجارية ، خاصة بعد احتلال عدن عام 1839م، قامت بإجباره على قبول معاهدة لندن 1840 م وهي التي قلصت كل جهوده ، وحرمته من كل انتصاراته ، وجعلته حاكماً على مصر فقط ، كل هذا من أجل الحفاظ على مصر التي أبرزت الحملة الفرنسية أهميتها بالنسبة لطرق المواصلات إلى الهند بل واستمرت إنجلترا تحمل راية العداء لمصر حتى احتلتها 1882م[73].

وهكذا أخرجت مصر من سلطة الدولة العثمانية، وتم الاتفاق الودي بين فرنسا وإنجلترا، حيث أطلقت الأولى يد إنجلترا في مصر مقابل إطلاق يد فرنسا في مراكش.

موقف السلطات في ولاية طرابلس الغرب من هذا الصراع:-

بدون شك فإن ماجرى من أحداث وصراع محتدم بين الانجليز من جهة والفرنسيين من جهة أخرى حول السيطرة على مصر ومحاولة الاستفراد بالطرق التجارية مع الشرق كانت له أصداء في المنطقة وولاية طرابلس إحدى الولايات التابعة للدولة العثمانية كانت إحدى هذه المناطق التي تأثرت بهذا الصراع ونتيجة لموقع الولاية الجغرافي والقريب من مكان الصراع هذا الأمر ترتب علية تبلور موقف معين منه فقد تعامل الباشا يوسف القرمانلي مع هذا الموضوع بشكل مختلف ونظرا لان لدى فرنسا تمثيل دبلوماسي في طرابلس فقد كانت القنصلية الفرنسية موجودة في طرابلس ودون الدخول في تفاصيل الحديث عن علاقة يوسف باشا القرمانلي مع الفرنسيين والتي كانت مستقرة حينا ومتوترة أحيانا إلا أن الفرنسيين قاموا بتعيين بوسييه Beaussier قنصلا عاما لفرنسا في طرابلس كان ذلك عام 1796 وعند انطلاق الحملة الفرنسية من ميناء طولون متجهة إلى مصر اتصل القائد الفرنسي نابليون بونابرت Napoleon Bonaparteبالقنصل الفرنسي في طرابلس طالبا منه إبلاغ يوسف باشا القرمانلي بإنطلاق الحملة إلى مصر وإبلاغه أيضا بقراره إلغاء منظمة فرسان القديس يوحنا في مالطا، ورد الباشا على نابليون بحسن نواياه تجاه فرنسا وعبر عن ذلك بإرساله كميات كبيرة من المؤن إلى القوات الفرنسية في مالطا(2)

كما قام يوسف باشا القرمانلي بإبرام مجموعة من الاتفاقيات مع نابليون بونابرت(3) وعلى مايبدو أن باشا طرابلس كان يرمي بهذه الاتفاقيات إلى خلق توازن في سياسته الخارجية في هذه الفترة ولا أدل على ذلك من غضب الولايات المتحدة الامريكية من قيام السلطات في طرابلس من إبرام هذه الاتفاقيات وهو كما نعلم بأن علاقته مع الولايات المتحدة الامريكية تمر بأسوأ حالاتها ، وبهذا حاول الباشا إستغلال حاجة الفرنسيين له في أن يكونوا حلفاء له ضد الولايات المتحدة الامريكية وربما بريطانيا التي كانت تقف الى جانب الولايات المتحدة في حوض البحر المتوسط.

---

[72]) احمد زكريا الشلق ، المرجع السابق ، ص41 ،42.

[73]) شوقي الجمل ، تاريخ مصر، المرجع السابق ،ص 142.

2)شارل فيرو ، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتي الغزو الايطالي،ترجمة وتحقيق الدكتور محمحد عبدالكريم الوافي ،منشورات جامعة قاريونس،بنغازي،الطبعة الثالثة،1994، ص377

(3)علي رمضان ابوبكر الكرغلي،دور العامل الايديولوجيفي العلاقات الليبية الامريكية(1970-1995)رسالة ماجستير غير منشورة ،اشراف د .عمر حمد البرعصي، كلية الاقتصاد، جامعة قاريونس ،1997،ص 65.

الخاتمة :

من خلال البحث أتضحت لنا عدة نتائج ومنها:

- أوضح البحث انهيار دولة المماليك وتولي الدولة العثمانية الدفاع عن ديار الإسلام وإغلاق البحر الأحمر في وجه السفن الأوربية ، قد جلب الصراع الدولي .

- أثبتت البحث أن مصر تتمتع بموقع جغرافي تجاري مهم .

- أبرز البحث الصراع بين أمراء المماليك في مصر ومحاولة استغلال كل من إنجلترا وفرنسا عقد صفقات تجارية معهم.

- أثبتت الدراسة أن كلاً من الدولتين حاولتا إرسال الرحالة والمستكشفين والتجار الذين أكدوا أهميةإحتلال مصر، وكانت فرنسا أسبق في هذا المضمار.

- نتج عن البحث أن بريطانيا أرسلت هي الأخرى عدداً من التجار والقناصل كرد فعل طبيعي على ما فعلته فرنسا لوقف المد الفرنسي .

- أبرز البحث أن بريطانيا كونت شركات تجارية من أجل السيطرة على منافذ التجارة البرية عبر مصر والعالم العربي .

- نتج عن الحملة على مصر زيادة أطماع الشركات الأجنبية في مصر ، بحفر قناة السويس فيما بعد للسيطرة على طرق التجارة .

- أثبت البحث أن الحملة الفرنسية على مصر قد لفتت الأنظار إلى موقع مصر الجغرافي في طرق المواصلات البرية . وبدأت الأطماع الأوربية في مصر والعالم العربي ،وأدى ذلك بـأن سيطرة بريطانيا على مصر 1882م.

-اتضح من خلال هذا البحث ان السلطات الحاكمة في ولاية طرابلس انذاك اتخذت موقفا ينسجم مع السياسة الفرنسية لهذه الحملة فهي لم تتخذ مبدأ سياسة الحياد هذا من جانب ومن جانب اخر اثبتت الحملة مدى اهمية موقع ولاية طرابلس الغرب وبرقة بالنسبة لمصر خاصة اذا كانت هذه الاخيرة محاصرة من البحر فقد ادرك الفرنسيين ذلك وكانت بالفعل الجسر الوحيد الذي كان يصلهم بوطنهم الام في فرنسا خاصة بعد ان قام الانجليز بمحاصرتهم من البحر

- يوصي البحث بقراءة جيدة للصراع الغربي في القرن الثامن عشر الميلادي وأطواره بعد ذلك ، وما الصراع الدولي الآن حلقة من حلقات الصراع الاقتصادي والسياسي حول الوطن العربي إجمالاً.

- **قائمة المصادر والمراجع:**

1. أباضة، فاروق عثمان، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر 1839-1910، منشأة مكتبة المعارف، الاسكندرية، 1981م.
2. أنيس ، محمد،الدولة العثمانية والشرق العربي 1514-1919،دار الفكر العربي ،القاهرة ،1982م .
3. إسماعيل، محروس حلمي، الحملة الفرنسية على مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1955م.
4. الجمل، شوقي وعبدالله عبدالرازق، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991م.
5. الجمل، شوقي، تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1980م.
6. الجمل، شوقي وعبدالله عبدالرازق، تاريخ مصر الحديث والمعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995م.
7. السكندري، عمر، سليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني الى الوقت الحاضر، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1966م.
8. الشناوي، عبدالعزيز، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1976م.
9. الشلق، أحمد زكريا، معالم التاريخ المصري الحديث والمعاصر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001م.
10. الصيرفي، نوال حمزة يوسف، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي، الرياض، 1983 م.
11. حراز، السيد رجب، عصر النهضة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1974م.
12. حراز، السيد رجب، المدخل إلى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال البريطاني 1517-1882م، داري الفكر العربي، القاهرة، 1979م.
13. دراج، أحمد، الممالك والفرنج في القرن التاسع الهجري، دار النهضة العربية، القاهرة، 1961م.
14. رمضان، عبدالعظيم، الغزوة الاستعمارية للعالم العربي وحركات المقاومة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1981 م.
15. رمضان، عبدالعظيم، تاريخ اوروبا العالم في العصر الحديث، القاهرة، الجزء الأول، 1986م.
16. روبير، سيولة، مصر – ولع فرنسي، ترجمة: لطيف فرج، مكتبة الأسرة، القاهرة، 1999م.
17. سعيد، أمين، تاريخ مصر السياسي من الحملة الفرنسية 1798 م إلى إنهيارالملكية 1952م، دار المعارف، القاهرة، 1959م .
18. شكري، محمد فؤاد، الحملة الفرنسية وخروج الفرنسين من مصر، دار المعارف، القاهرة، 1981م.
19. صبحي، حسن، التنافس الاستعماري الأوربي في المغرب، دار الفكر العربي، بيروت، 1988م.
20. عاشور، سعيد عبدالفتاح، الحركة الصليبية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1985م.
21. عبدالرحمن، عبدالرحيم، النشاط التجاري في البحر الأحمر في العصر العثماني 1517-1798م ضمن كتاب البحر الاحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة.
22. عبدالعليم، أنور، ابن ماجد الملاح، دار المعارف، القاهرة، 1966م.

23. عمر، عبدالعزيز عمر، تاريخ المشرق العربي 1516-1992 م، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1988م.
24. فهمي، نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، دار الملك عبدالعزيز، القاهرة، 1973م.
25. فيرو،شارل،الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي ، ترجمة وتحقيق الدكتور محمد عبدالكريم الوافي ،منشورات جامعة قاريونس ،بنغازي،الطبعة الثالثة،1994.
26. الكرغلي،علي رمضان ابوبكر،دور العامل الايديولوجي في العلاقات الليبية الامريكية (1970-1995)،رسالة ماجستير غير منشورة ،اشراف د.عمر حمد البرعصي،كلية الاقتصاد،جامعة قاريونس،1997،ص65.
27. هريدي، صلاح أحمد، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر 1517-1882 م، دار عين، القاهرة، 2003م.
28. هونكة، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون وكمال الدسوقي، دار الفكر، بيروت، 1964م.
29. يحي، جلال، المجمل في تاريخ مصر، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1997م.